المعايير النصية في دراسات الترجمة الحديثة

الأستاذ المشارك الدكتور/ مجدي حاج إبراهيم، قسم اللغة العربية وآدابها،
كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

المقدمة

اتجه المترجمون والباحثون مؤخرا نحو توسيع إطار نظرية الترجمة من خلال الاستفادة من علم المعلوماتية، والعلوم الإدراكية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والمستجدات من اللغويات الحديثة، خاصة الدراسات التي تناولت النص بوصفه وحدة متكاملة. وقد بدأت دراسات مستحدثة للترجمة تتخذ من اللغويات النصية مدخلا جديدا لها، ويصرح نيوبرت وشريف (Neubwrt & Shreve) بأنه لا يمكن فهم الترجمة بصورة أشمل إلا من خلال تأصيل نظرية نصية للترجمة، وإثباتها بإجراء دراسات تحليلية لنصوص واقعية.[١]

وينطلق مفهوم التكافؤ النصي – المستمد من اللغويات النصية – من كون النص سابقا للترجمة، فالترجمة لا تأتي إلا بعد ظهور النص. وطالما أن الإجراءات النصية تبدأ من النص المصدر وتنتهي بإنتاج النص الهدف بواسطة المترجم الذي يدير عملية الترجمة، فإن النص في عملية الترجمة يجب أن يكون وحدة الترجمة، وليست الكلمات والجمل المنفردة. إن نظرية الترجمة التي تعتمد على لغويات النص تضع في عين الاعتبار جميع عوامل الاتصال، وتنظر إلى الترجمة بوصفها عملية تفاعل يشترك فيها المؤلف والمترجم والقارئ.

وقد دعا حاتم وماسون (Hatim & Mason) المترجم إلى التعامل مع النص باعتباره بنيةً متكاملةً تترابط بواسطة النظم، فالمترجم يجب أن يلم بمعرفة السياق، والبنية، والنظم، ومعرفة مفهوم الحال، والطريقة، والكيفية. ويرى الباحثان أن النص من حيث كونه عملا واقعيا يحقق الجانب التداولي، ومن حيث كونه عملا سيميائيا يحقق الجانب الاتصالي.[٢]

---

[١] نيوبرت، ألبرت؛ وشريف، غريغوري، الترجمة وعلوم النص، ترجمة: محي الدين حميدي، (الرياض: النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، ٢٠٠٢م)، ص١٢٦.

[٢] Hatim, Basil & Mason, Ian, **Discourse and the Translator**, (New York: Longman, ١٩٩١), p.xv

ومن هذا المنطلق، يأتي هذا البحث ليتناول الاتجاه التأويلي أو التجريبي الحديث القائم على نتائج اللغويات النصية في دراسات الترجمة الحديثة. وينقسم البحث إلى قسمين كبيرين، حيث يطرح القسم الأول مداخل الترجمة المختلفة، ويدرس الأسباب والدوافع وراء ظهور المدخل التأويلي أو التجريبي الذي يدعو إلى اعتماد النص بوصفه وحدة الترجمة الأساسية. أما القسم الثاني فيتناول دراسة معايير النص التي اعتمد عليها روجر بيل لقياس جودة الترجمة.

المبحث الأول: المداخل النظرية في الترجمة

تختلف المداخل النظرية في الترجمة باختلاف المنظرين، وقناعتهم الفكرية، تبعا لتكوينهم والمدارس التي ينتمون إليها. ويمكن تلخيص أهم هذه المداخل على النحو التالي:

١. المدخل اللغوي

يرى جورج مونان (George Mounin) أن المترجم، في قيامه بعملية الترجمة، يحتاج إلى استعمال لغتين تحتكان في ذهنه، وهذا يعني أن الترجمة عملية احتكاك بين اللغات، وهو ما يجعل دراستها مرتبطة باللغة ارتباطا وثيقا لا تنفك عنها.[٣] ويؤكد كاتفورد (Catford) ذلك حيث يقول: "الترجمة عملية تتحقق باللغات، أي أنها استبدال نص في لغة معينة بنص آخر في لغة أخرى. فمن الواضح إذن أن أي نظرية للترجمة لا بد أن تعتمد على نظرية للغة، نظرية لغوية عامة".[٤]

وقد تطورت النظريات اللغوية بصورة سريعة نتيجة للتطور الهائل الذي شهدته النظريات اللغوية الحديثة التي اعتمدت على المنهج العلمي في دراسة اللغة وتشخيصها. ومما ساهم في تطور النظريات اللغوية للترجمة أن معظم منظري الترجمة كانوا من اللغويين، حيث قام بعضهم أمثال كاتفورد، ونايدا (Nida)، ودي بوغراند (De Beaugrande)، بتطبيق النظريات اللغوية الحديثة على بعض الترجمات.

---

[٣] مونان، جورج، المسائل النظرية في الترجمة، ترجمة: لطيف زيتوني، (بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٤م)، ص٥٢.

[٤] كاتفورد، جي. سي.، نظرية لغوية للترجمة، ترجمة: عبد الباقي الصافي، (البصرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٨٦م)، ص١٣.

وعلى الرغم من أن كثيرا من اللغويين قاموا بالتصدي لدراسة الترجمة إلا أنه لم ينجم عن جهدهم ونظرياتهم اللغوية فؤائد كبيرة، لأنها كانت محصورة في دراسة التراكيب المثالية، دون الاهتمام بالمعنى. وعندما أدرك اللغويون طبيعة المعنى وأهميته، ذهبوا بالقول إلى أن الترجمة تشكل بصورة رئيسة جانبا من جوانب علم الدلالة، الأمر الذي دفعهم إلى جعل كل المسائل المتعلقة بعلم الدلالة تتصل اتصالا مباشرا بنظرية الترجمة.[٥]

وعلى صعيد آخر، فيؤخذ على النطريات اللغوية في دراسة الترجمة أنها في مجملها وصفية وليست تقريرية، فهي تظهر كيف يترجم المترجمون، ولكنها لا تظهر كيفية ما ينبغي على المترجمين ترجمته. وهذا لا يعني أن كل النطريات اللغوية واحدة، فهي تختلف من جهة التوكيد أو التوجه.

ويؤخذ على المدخل اللغوي أيضا أن المترجم الذي يستخدم لغتين للقيام بعملية الترجمة، لا يترجم اللغة بل النص وما يحويه من معلومات وأفكار. وحصول الاحتكاك الذي ذكره مونان لا يكون بين لغتين بقدر ما يكون بين محتوى النص وذهن المترجم.[٦]

٢. المدخل المقارن

يرى فيني وداربلني (Vinay & Darbelnet) أن عملية الترجمة بوصفها عملية انتقال من لغة إلى أخرى تكون تابعة لمادة خاصة من النوع المقارن، تهدف إلى شرح آلياتها وتسهيل إنجازها بوضع قواعد صالحة للغتين المعنيتين، الأمر الذي يجعلنا نعتبر الترجمة حالة خاصة، وتطبيقا عمليا للأسلوبية المقارنة.[٧]

وقد ربط بعض اللغويين المدخل المقارن بالمدخل اللغوي للترابط الشديد بينهما، فكاتفورد يصرح بأن "نظرية الترجمة تعنى بنوع معين من العلاقات بين اللغات، وهي تبعا لذلك فرع من اللغويات المقارنة".[٨] وهو ما يؤكده أيضا نيومارك الذي يرى أن نظرية الترجمة

---

[٥] محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس، (عمان: مكتبة دار الثقافة، ١٩٩٨م)، ص١٨.

[٦] حافظ البربني، علم الترجمة من التجريب إلى الممارسة والتنظير، (سوريا: دار عين الزهور، ٢٠٠٣م)، ص٧٩.

[٧] المرجع السابق، ص٧٨.

[٨] كاتفورد، نظرية لغوية للترجمة، ص٤٣.

تنبع من علم اللغة المقارن، وهي من هذا المنظور تشكل جانبا من جوانب علم المعاني.[٩] ويرى البعض أن نظريات الترجمة اللغوية تقوم على مقارنة التراكيب اللغوية لكل من نصوص اللغتين، المصدر والهدف، أكثر من اعتمادها على مقارنة الأنواع الأدبية والملامح الأسلوبية.

ويؤخذ على هذا المدخل أنه يرى أن الترجمة تابعةً للأسلوبية المقارنة، وهو قول فيه من اللبس والغموض ما يمكن أن يقلب مفهوم دراسات الترجمة رأسا على عقب؛ لأن القيام بعملية المقارنة يتطلب بادئ ذي بدء شيئين قابلين للمقارنة. وطالما أننا نترجم أولا حتى يمكننا أن نقارن في مرحلة لاحقة، فإن الدراسة المقارنة تكون عملية لاحقة للترجمة، وليست سابقة لها.[١٠]

٣. المدخل الأدبي

يشكك هذا المدخل في إمكان تحقيق التكافؤ بين الوحدات اللغوية المترجمة. فالترجمة، حسب هذا المدخل، ليست علما يعمل بمقتضى القوانين الثابتة المحددة في نقل النصوص، وإنما هي إعادة صياغة للنص المصدر لتتوافق مع مصالح القراء الجدد، أو هي إنتاج نص جديد دون الاهتمام بالمحافظة على النص المصدر. فالترجمة من هذا المنطلق لا تهتم بقضايا إشكالية المعنى والمساواة بين المؤلف والمترجم، لذلك فهي لا تحقق تواصلا ذا وظيفة معينة، كما هو الحال في المدخل اللغوي، وإنما تقوم بعملية التفسير الذاتي للنص المصدر مع تشجيع المترجم على إظهار إبداعه وطاقاته الفنية.

وقد ساد هذا المدخل في الترجمة قرابة ألفي سنة قبل ظهور اللغويات الحديثة بوصفها علما مستقلا إبان حكم الإمبراطورية الرومانية القديمة، إذ كانت الترجمة حينذاك تتسم بحرية تصرف المترجمين في النص المصدر من خلال إخضاعه لثقافتهم وتطبيعه بخصائص اللغة الهدف بدون إعطاء النص الأصلي وهويته اهتماما كبيرا.[١١]

---

[٩] نيومارك، بيتر، اتجاهات في الترجمة، جوانب من نظرية الترجمة، ترجمة: محمود إسماعيل صيني، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٦م)، ص١٦.

[١٠] حافظ البريني، علم الترجمة من التجريب إلى الممارسة والتنظير، ص٧٩.

[١١] Schulte, Rainer & Biguenet, John, Theories of Translation, (Chicago: University of Chicago Press, ١٩٩٢), p.٢.

٤. المدخل الثقافي

يعتمد هذا المدخل على النظرية الثقافية التي تعرّف المعنى بحسب أُطره وحقوله الثقافية، ويقول كازاغراند (Cassagrand) بهذا الصدد: "مما لا مفر منه أن مواقف شعب ما وقيَمه وتجاربه وتقاليده كثيرا ما تصبح مقحمة في شحن المعنى الذي تحمله لغة ما. وفي الحقيقة إن المرء لا يترجم اللغات بل يترجم الثقافات".[١٢]

ويختلف هذا المدخل عن المداخل السابقة حيث ينظر إلى الترجمة باعتبارها وسيلة للنظر في الثقافات الوافدة، فهو يجيز للمترجم أن يتصرف بحرية وفقا لرغبة القراء، وذلك بالإبقاء على العناصر الغريبة الوافدة من خلال نقل المعاني الأصلية التي أرادها الكاتب الأصلي، أو تطبيعها لرفع الغرابة والغموض الذي قد تحدثه في قراء اللغة الهدف. وهذا يعني أن للمترجم حق شرح جوانب الاختلافات الثقافية، أو إخفاءها لكسب أكبر قدر من القبول لدى القراء الجدد.

فتصبح الترجمة، حسب هذا المدخل، نوعا من التثقيف.[١٣] ومن ثم فإن قضية نقل المعنى لا تحظى باهتمام المدخل الثقافي، لأن هدف الترجمة فيه ليس الإبقاء على المعنى الأصلي بقدر تحقيق الغرض الثقافي المطلوب الذي يتولى المترجم تحديده.

ويؤخذ على هذا المدخل أن تولد منه اتجاه يزعم أن اللغة هي الثقافة، وأن الترجمة هي وصف لرؤية العالم عند شعب ما لشعب آخر. ويستند هذا الرأي إلى فرضية (النسبية اللغوية) لوورف وسابير (Worf & Sapir)، التي تقول بأن اللغة لا تقدم وسائل الاتصال لمتحدثيها فحسب، بل تفرض عليهم رؤية مختلفة عن العالم، وهو ما يعني أن اللغة تحدد الطريقة لمتحدثيها حول كيفية النظر إلى العالم وكيفية التعبير عن أفكارهم.

إن أخطر ما يستتبع هذه النظرية أنها تجعل جميع أنواع الاتصال بين الثقافات عملية صعبة للغاية إن لم تكن مستحيلة، ويقتضي ذلك أن تصبح الترجمة برمتها عملية مستحيلة.

---

[١٢] محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس، عمان: مكتبة دار الثقافة، ١٩٩٨م، ص٢٦.

[١٣] Venuti, Lawrence, **Rethinking Translation**, (London: Routledge, ١٩٩٢), p.١٣.

وبما أن الواقع يقول بأن الترجمة عملية ممكنة إلى حد ما، فرفض بعض منظري الترجمة المؤيدين للرؤية الثقافية فرضية (النسبية اللغوية) نظرا لموقفها المتشدد من الترجمة، واكتفوا بالقول أن اللغات تختلف بشكل كبير، والترجمة تكون ممكنة فيما لو جرت بين الثقافات.

٥. المدخل التأويلي أو التجريبي

مع ظهور لغويات النص في السبعينيات تم التخلي عن اعتماد وحدات الترجمة الصغرى في الترجمة من المورفيم والكلمة والجملة، وساد اعتقاد بأن الترجمة يجب أن تكون عملية ترجمة نص لنص، وليست بين لغتين أو بين ثقافتين. فلغويات النص من هذا المنطلق لا تصف أبنية النص فحسب، بل تعمل على تحديد العمل الاتصالي للنصوص، ويعني ذلك أن مجال لغويات النص ببساطة يضم وصف كل ظواهر عملية الاتصال وقيوده.[١٤]

إن النظرية التأويلية ترفض وجهة النظر المتأصلة في النظرية القائلة بأن الترجمة تعني فك رموز نص وإعادة بنائه. فمهمة المترجم ليست مطابقة رموز النص الأصلي مع رموز النص الهدف، ولكن تفسير وتأويل النص الأصلي، بمعنى إعادة تركيب معناه أولا ثم نقله إلى قارئ اللغة الهدف.

ويؤكد أصحاب هذا المدخل أن النظرية الحقيقية للترجمة يجب أن تتبع منحى النظرية العامة للخطاب، وأنها لا يمكنها أن تكون مجرد امتداد لنظرية لغوية تسعى إلى وصف اللغة أو النظام اللغوي. فالنزعة التي يتبناها أصحاب هذا المدخل تختلف عن النظريات اللغوية للترجمة، حيث إنها تعتمد طريقةً استدلاليةً تقوم على تحليل المعنى كما يظهر في الخطاب أو القول. وقد قام أصحاب هذا الاتجاه إلى محاولة ربط منهج تحليل النص الذي وضعته كريستيان نورد (Nord Christiane) بمناهج تحليل الكلام، وجميعها مناهج تدعو إلى فحص النص على مستويات أشمل وأعم من مستوى الجملة المفردة، فمنهج تحليل النص يركز على وصف طرائق تنظيم النصوص داخلياً، كبناء الجملة والتماسك. أما تحليل الكلام فينظر في

[١٤] ديتر فيهفجر، فولفجانج هاينه مان، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م)، ص٦.

طرائق توصيل اللغة للمعنى، وما يرتبط به من علاقات اجتماعية وعلاقة السلطة أو القوة في المجتمع.[١٥]

ويعتبر هذا المدخل الأحدث في دراسات الترجمة، فطالما أن عملية الترجمة تهدف إلى تبليغ معنى النص وقصد الكاتب، لا إلى نقل الدلالات للكلمات أو العبارات أو الجمل، تصبح منهجية الترجمة ونظريتها بحاجة إلى اعتماد الطريقة التأويلية والتجريبية.

وعلى ضوء ما تقدم، فإن تحليل النص يعد الخطوة الأولى في الترجمة. وفي سبيل إجراء التحليل، ينبغي على المترجم مراعاة مجموعة من المفاهيم الأساسية مثل البنية والترابط والسياق. فالمترجم الذي يستطيع تحليل النص قادرٌ على الترجمة؛ لأنه قادر على بناء سياق النص المترجم، وربطه بالنظم البنيوية. إن تنظيم النص تنظيم هرمي، فالنص يتألف من فقرات، والفقرات تتألف من جمل، والجمل تتألف من وحدات أصغر تتمثل في العبارات والكلمات. وتشير عناصر الربط الموجودة في النص بأن كل عنصر من عناصر النص يرتبط ويعتمد على عنصر آخر.

المبحث الثاني: المعايير النصية في الترجمة

قدم روجر بيل (Roger Bell) سبعة معايير نصية يمكن تطبيقها على مختلف النصوص استمدها من دي بوجراند (De Beaugrande) مع بعض التعديلات الطفيفة. ويؤكد بيل بأن الإخفاق في الالتزام بأي واحد من هذه المعايير من شأنه أن يحدث إخفاقا شاملا للنص، فالنص الذي يفتقر إلى هذه المعايير ليس نصا بل مجرد تجميع من كلمات وأصوات وأحرف. وهذه المعايير على النحو التالي:[١٦]

---

[١٥] محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٣م)، ص١٥٩.

[١٦] بيل، روجر، الترجمة وعملياتها: النظرية والتطبيق، ترجمة: محي الدين حمدي، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م)، ص٣٣٦.

١. التناسق: (Cohesion)

يُعْرف التناسق بأنه "الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في بنية النص الظاهرة، أو بصورة مبسطة يقصد به التشكيل النحوي للجمل والعبارات وما يتعلق بها من حذف وإضافة ونحو ذلك".[١٧] فالتناسق يعبر عن صورة تناسق النص وتماسكه المتمثل في الربط المتبادل لمكونات النص السطحي ضمن سلسلة من الجمل. أي أنه العملية التي تُنفّذ من خلال الوسائل المعجمية والتركيبية، مثل التكرار، والضمائر الإحالية، والروابط. وتظهر أهمية التناسق في أن عناصره تعطي النص تماسكه والتحامه وارتباطه واستقراره واستمراريته. مثال ذلك:

- قابلت رجلا وسلمت عليه.
- الترجمة: (Saya berjumpa dengan seorang lelaki dan bersalaman dengannya).

يعود الضمير (الهاء) في (عليه) للفظ (الرجل)، وحتى يصبح النص متناسقا ومتماسكا فإنه يتعين وجود تطابق بين الضمير ومرجعه، وذلك من خلال مراعاة التطابق في علاقة الضمير باللفظ من تذكير وتأنيث أو إفراد وتثنية وجمع، وأي إخلال بالتطابق يفسد تناسق النص. مثال آخر:

- فطيرة واحدة لا تكفيه، فاشترى واحدة أخرى.
- الترجمة: (sekeping roti canai tidak mencukupi bagi dia, maka dia membeli sekeping lagi).

حدثت عملية إحالة في الجملة العربية وترجمتها، وذلك بتعويض لفظ (فطيرة) بلفظ آخر (واحدة). ويعد هذا الإجراء من أهم إجراءات التناسق، إذ به تتحق وظيفة اللغة التواصلية؛ لأنه يرفع الملل عن القارئ، ويحول دون إطالة النص. وفي حالات كثيرة، تستطيع كلمة واحدة أن تغني عن كلمات كثيرة أو معلومات شتى سبق ذكرها، فضلا عن توثيق الروابط بين مكونات النص، فيسهل على القارئ متابعة الإحالات والمحالات إليها، واكتشاف التغيرات

[١٧] يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، (مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٩٨٨م)، ص٤٩.

التي تطرأ على النص بين الفينة والأخرى لكي تتحقق له عملية فهم النص وتذوقه بصورة سليمة.

٢. التلاحم: (Coherence)

يُعْرف التلاحم أيضا بالترابط أو الانسجام، ويقصد به "الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في داخل النص بحيث يمكن استعادتها مرة أخرى".[١٨] فالتلاحم إذن عملية وضع مفاهيم العالم النصي وعلائقه التي تقبع تحته، وتتحقق من خلاله في هيئة وتسلسل معين يقبله العقل والمنطق. فمحتويات النص المعرفية لا يمكن أن تأتي في صورة عشوائية، ويؤكد غرايس "أن هناك تنظيما يُفرض على المحتوى المعرفي، وهذا الترتيب ترتيب منطقي يحدد نقاط الوصل الدلالية بين وحدات النص المعرفية".[١٩] فعلى سبيل المثال:

- صليت، ثم أقمت الصلاة، ثم توضئت.
- الترجمة: (Saya telah mendirikan solat, kemudian saya iqamah, kemudian saya mengmbil wudu).

هذا المثال يبدو متماسكا ومتناسقا من حيث تركيبه اللغوي، لكنه يفتقر إلى التلاحم؛ لأن الصلاة لا تصح بدون وضوء، والتسلسل المنطقي يحتم أن يبدأ المسلم بالوضوء أولا، ثم إقامة الصلاة، ثم الدخول في الصلاة.

إن القارئ لا يستطيع أن يفهم نصا بدون ربط عناصره المكونة له من مواقف وحوادث وأفعال وأشياء، وعلى هذا الأساس يتوجب على المترجم إعادة ترتيب عناصر النص وربط المواقف والحوادث والأفعال والأشياء المذكورة فيه، فيقوم باستحضار مواد التلاحم الأولية من النص الأصلي ودعمها بالمعلومات المستمدة من مخزونه المعرفي لتفسير النص. وعلى هذا الأساس، فالتلاحم ليس وحدة إخبارية فحسب، بل هو عملية الربط بين العناصر

[١٨] يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص٤٩.

[١٩] نقلا عن: نيوبرت، ألبرت؛ وشريف، غريغوري، الترجمة وعلوم النص، ص١٢٦.

المعرفية والإخبارية لخلق بنية أكبر وأشمل دلاليا. ويعني ذلك أن على المترجم أن يعمل على إعادة خلق التلاحم الوظيفي في اللغة الهدف بصورة توازي التلاحم الوظيفي في اللغة المصدر.

٣. القصد: (Intentionality)

القصد هو "عمل مخطط يستهدف به تحقيق غاية بعينها".[٢٠] فلا يكفي أن يتمتع النص بالتناسق والتلاحم ليصبح نصا، بل على النص أن يكون ذا قصد يستفاد منه في التفاعل التواصلي. فالمؤلف الأصلي لا يشرع في كتابة النص إلا وهو يقصد هدفا ما يريد إيصاله للمتلقي. لذا، فالنص لا يمكن أن يكون تركيبةً لغويةً عشوائيةً، وإنما هو عمل مقصود متماسك ومتلاحم. فعلى سبيل المثال يقول أحمد شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

نجد أن هذا البيت يقدم مثال جيدا للتناسق والتلاحم، فلقاء الأحبة عادة ما يبدأ بنظرة، فابتسامة، فسلام، فكلام، فموعد، ويأتي اللقاء أخيرا. ولكن هذا البيت يقبل إحداث تغيير في ترتيبه بدون أن يترتب عليه فساد للتلاحم، إذ يمكن تقديم (الكلام) على (السلام)، لأن السلام يمكن أن يأتي في أول الكلام وفي آخره أيضا، فنقول:

- نظرة فابتسامة فكلام فسلام فموعد فلقاء.

كما يمكن أيضا إذا أهملنا الوزن تقديم (الموعد فاللقاء) على (السلام والكلام)، باعتبار أن (اللقاء) يستتبعه (سلام وكلام)، فنقول:

- نظرة، فابتسامة، فموعد، فلقاء، فسلام، فكلام.

وتأسيسا على ما تقدم، فإن إعادة ترتيب عناصر هذا البيت لا تؤثر على التناسق والتلاحم، ولكن يبقى أمر مهم يجب أن يضعه المترجم نصب عينيه، وهو قصد الشاعر، أو المعنى الذي أراده الشاعر.

[٢٠] يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص٥٠.

إن الحدث الكلامي لا يكون مباشرا على الدوام، فمعنى القول يختلف لدى المتكلم عن معنى التركيب اللغوي القائم على الاتساق وحده، ويظهر ذلك جليا في التلميحات، والاستعارات، والتهكم، والسخرية، والتلاعب بالألفاظ. فمثلا، العبارة (تعال هنا) يمكن أن تحمل معنى الأمر، أو الطلب، أو التعليم، أو الإرشاد، أو الدعوة، أو الاقتراح أو غيرها من المعاني. وينبغي على المترجم في ترجمته أن يحدد قصد المؤلف ليحقق الهدف الذي يرمي إليه.

بيد أن إدراك قصد المؤلف الحقيقي عملية صعبة إن لم تكن مستحيلة نظرا لأن النص فضاء مفتوح يقبل تعدد القراءات واختلافاتها. ويزيد اختلاف وجهات نظر القراء نحو النص الواحد إذا اختلفت خلفياتهم الثقافية والعلمية والفلسفية والاجتماعية والتاريخية.

ومما يزيد من صعوبة إدراك القصد الحقيقي للمؤلف أن القصدَ المفهومَ من النص قد لا يتطابق بالضرورة مع قصد المؤلف. فالأخطاء اللغوية والمطبعية، وزلات اللسان قد تحدث رغما عن المؤلف ودون قصد منه. أضف إلى ذلك، أن مقاصد المؤلف عادة ما تكون سريعة الزوال لأن المؤلف لحظة انخراطه في العملية الكتابية الإبداعية تتوارد عليه أفكار جديدة، وتتولد معها معاني جانبية قد لا يشعر بها أثناء كتابته. وليس لكاتب أن يزعم أنه يكتب ما يعتزم كتابته فقط حين بدأ التصدي لعملية الكتابة. فعملية الكتابة نفسها عملية استكشاف للأفكار، ووضع الكلمات على الورق عملية إبداع فكرية لا عملية تجسيد فكري، بمعنى أن الكاتب يأتي بأفكار جديدة أثناء الكتابة، أيا كانت علاقتها بالموضوع الأصلي، ولا يقتصر عمله على تجسيد أفكار مسبقة في كلمات.[٢١]

ويؤكد تشومسكي (Chomsky) هذه الخصوصية في عملية الكتابة الإبداعية حيث يقول: "أثناء التأمل والتساؤل والتبادل الاجتماعي العادي وأثناء تخطيط أعمال الإنسان نفسه وتوجيهها، وفي الكتابة الإبداعية والتعبير الصادق عن النفس، وأنشطة كثيرة نستعمل

[٢١] محمد عناني، فن الترجمة، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ١٩٩٤م)، ص٦-٧.

فيها اللغة، تستعمل التعابير بمضمونها البحت دون اعتبار لنوايا الناطق تجاه المستمعين".[٢٢] وعلى ضوء ذلك، يجب على المترجم "أن يفرق بين مقاصد المؤلف المنتجة والإشارات الدالة على القصد المتحققة من خلال التسلسل المنمط للإشارات اللغوية في البنية النصية السطحية".[٢٣]

٤. المقبولية: (Acceptability)

ُقصد بالمقبولية "مدى استجابة المتلقي للنص وقبوله له".[٢٤] وترتبط المقبولية بالقصد نظرا لأن القصد محوره الكاتب والمؤلف، في حين أن المقبولية محورها القارئ والمتلقي. وعلى هذا الأساس فهما يشكلان معاً العنصرين المتوازيين للنصية، والعنصرين الاسترشاديين بالنسبة للترجمة.

ولا يمكن تحقيق مقاصد الكاتب الأساسية من كتابته للنص إن لم يستطع القارئ الوصول إلى ما يُفترض أن النص يقوم به. والمقبولية لا تتضمن بالضرورة أن القارئ سيصدق محتويات النص أو يقبلها بحذافيرها، لكنها تفترض أن القارئ قادر على فهم هذه المحتويات وتحديدها واستخلاصها من النص.

ولا يشترط دي بوجراند الصحة اللغوية والنحوية ليكون النص مقبولا، إذ ليس كلُّ نصٍ مقبولٍ في الاتصال صحيحاً من الناحية القواعدية، كما أن الاتصال اليومي يحتاج إلى المقبولية وليس إلى القواعدية؛ لأن علم القواعد لا يمكن أن يقدم وصفا لجميع الجمل المشروعة في اللغة.[٢٥] ويجب أن تتوافر بجانب الصحة اللغوية مجموعة من العناصر في النص حتى يصبح النص مقبولا، كأن يتوافر في النص التناسق والتلاحم والقصد، فضلا عن منح القارئ السلطة على النص ليدخل في عالمه، ويغوص في أعماقه، ويشارك في ملء فراغه.

---

[٢٢] نقلا عن: نيومارك، اتجاهات في الترجمة، ص١٠٦.

[٢٣] نقلا عن: نيوبرت وشريف، الترجمة وعلوم النص، ص٩٦.

[٢٤] يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص٥٠.

[٢٥] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م)، ص١٧٤.

وليس هناك صورة واحدة للمقبولية، إذ تخضع كل النصوص للقيود. وعلى المترجم أن يفهم معايير المقبولية عند قراء اللغة الهدف إذا ما أراد أن يقدم نصا مقبولا في اللغة الهدف وثقافتها. فعلى سبيل المثال، تشير بعض اللغات إلى صيغ التأدب من خلال نظام حديثها، فالملايوية تفرض مراعاة الاختلافات الاجتماعية في التخاطب بين المرسل والمتلقي، فوضعت مفردات معينة خاصة للتعبير عن المخاطِب والمخاطَب بحسب ما يقتضيه السياق. وقد فرضت الملايوية أساليب خاصة يجب مراعاتها عند التخاطب مع الطبقات الاجتماعية المختلفة، وعدم الالتزام بهذه الأساليب يعد عيبا وذنبا لا يغتفر. فترجمة (أنا) و(أنت) إلى الملايوية تستدعي النظر أولا إلى الشخص الذي يتوجه إليه الخطاب، مثال ذلك: إذا كان المخاطَب صديقا في عمر متقارب فيمكن أن تكون (أنا): (saya)، (aku)، و(أنت): (awak)، (kau)، (engkauk)؛ وإذا كان المخاطَب أكبر سنا فـ(أنا) يجب أن تكون (saya)، أما (أنت) فيمكن أن تكون: (abang) بمعنى (أخي الأكبر)، أو (pakcik) بمعنى (عمي)؛ وإذا تخاطبت مع الملوك، فتقول: (patik) (أنا)، والملك يقول: (beta) (أنا).

وتتحدد درجة التأدب بين المتخاطبين بقدر حجم المسافة الاجتماعية التي تفصل بينهم، والإخلال بهذه المعايير، كمناداة الكبير بلفظ الصغير أو العكس، من شأنه أن يضعف درجة مقبولية النص.

وعلى المترجم قبل البدء في الترجمة أن يحدد جمهور القراء الذين سيترجم لهم، وأن يتعرف على مستواهم الفكري والثقافي والاجتماعي، إذ إن لكل مقام مقالا، فأنت لا تتحدث مع أستاذ الجامعة كما تتحدث مع طلبته، وهؤلاء لا تتحدث إليهم كما تتحدث مع الأطفال في المرحلة الابتدائية، كما أنك لا تحاور الإناث وتتعامل معهن كما تتعامل مع الذكور. ويؤكد نايدا أن مهمة الترجمة لا تنحصر في جعل قراء اللغة الهدف يفهمون الرسالة

الأصلية فحسب، بل تستلزم أيضا التأكد من سد جميع الاحتمالات التي يمكن أن تؤدي إلى سوء فهم قراء اللغة الهدف للترجمة.[٢٦]

بيد أن من الأمور المسلم بها أن محاولة إرضاء جميع القراء عملية عسيرة إن لم تكن مستحيلة، فرغبات القراء واحتياجاتهم تختلف من شخص إلى آخر حتى ضمن المجتمع الثقافي الواحد، فالقصص الجنسية الفاضحة مثلا لها جماهير حتى في المجتمعات الدينية المحافظة. لذلك يجب النظر إلى جمهور القراء باعتبارهم مجتمعات لا أفراد، ومن ثَمّ تخضع مراعاة احتياجات القراء إلى تقاليد المجتمع وأعرافه بشكل عام.

٥. الإخبارية: (Informativity)

يقصد بالإخبارية أن "كل نص يجب أن يشتمل على قدر من المعلومات الإخبارية".[٢٧] فمن المسلمات أن تحقق العملية التواصلية المتمثلة في قراءة النص تبادلا للمعلومات. ويمكن أن نصف النصوص الإخبارية بأنها التي تزود القارئ بمعلومات لم تكن موجودة لديه مسبقا، أما إذا لم يزود النصُّ القارئَ بأية معلومات جديدة، فإننا نصِفُ المحتوى الإخباري لهذا النص بالهزيل والضعيف. وتمثل الإخبارية في عملية الترجمة مقياسا للمعلومات التي تقدمها الترجمة لقارئ النص الهدف عن الأحداث، والحالات، والعمليات، والأشياء، والأفراد، والأماكن في النص المصدر.[٢٨]

وعلى الرغم من أن جميع النصوص تحتوي على معلومات، فإن درجة الإخبارية تختلف من نص إلى آخر بحسب نوع النص وغايته، كما تختلف أهمية معلومات النص وتأثيرها من قارئ إلى آخر. ولفهم هذه المعلومات يضع القارئ نصب عينيه مجموعة من الخيارات المحتملة لتفسير النص، وتتحدد متعة قراءة النص بقدر درجة التنبؤ بالخيارات. فإذا

---

[٢٦] Nida, E.A., The Theory and Practice of Translation, (The Netherlands: Brill, ١٩٨٢) p.١٠.

[٢٧] يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص٥١.

[٢٨] نيوبرت وشريف، الترجمة وعلوم النص، ص١١٩.

قلت درجة احتمال التنبؤ بالمعلومات، يكون النص مفيدا وممتعا وإبلاغيا، وبالعكس، فإن أصبحت الخيارات سهلة التوقع يكون النص مملا وليس إبلاغيا.

وجدير بالذكر أن الإكثار والمبالغة في تقديم المعلومات يفضي إلى أن يصبح النص غير قابل للقراءة. وعلى الصعيد الآخر، فإن عدم تقديم معلومات مهمة ومؤثرة يفضي إلى أن يكون النص قابلا للفهم ولكنه لا يصبح جديرا بالقراءة. وعلى ضوء ما تقدم، ينبغي على المترجم أن يوازن في تقديم المعلومات المتوقعة للغاية، والمحتملة، وغير المتوقعة، حتى تصبح الترجمة مقروءة وممتعة.

وقد حدد دي بوغراند ثلاث درجات للإخبارية، وهي:[٢٩]

أولا: الدرجة الأولى للإخبارية: وهي تقديم المعلومات المعلومة والمعروفة والمتوقعه أو غير الجادة، وهذا النوع من الإبلاغية لا يحظى باهتمام القارئ لمعرفته السابقة بالمعلومات المقدمة وتعوُّده عليها، أو لعدم اتسامها بالجدية. مثال ذلك:

- توقفْ عندما تضيء إشارةُ المرور الضوءَ الأحمر، وامش عندما تضيء الضوءَ الأخضر.
- الترجمة: (Berhenti apabila lampu isyarat merah, dan berjalan apabila lampu isyarat hijau).

نجد أن هذا النص لا يقدم جديدا، فقوانين المرور المتعلقة بإشارة المرور معلومات عامة يعرفها الصغير قبل الكبير، وليس فيها ما يثير اهتمام القراء.

ثانيا: الدرجة الثانية للإخبارية: تتحقق هذه الدرجة عندما تقع خيارات غير متوقعة ولكنها محتملة. بمعنى أن تصبح للوقائع درجة من الغموض تحتاج إلى إعمال العقل والفكر للترجيح بين الخيارات المطروحة، وعادة ما تتصف القصص البوليسية وقصص المغامرات والإثارة

[٢٩] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص١٨٧.

بإبلاغية من الدرجة الثانية لأنها تشرك القارئ في متابعة تسلسل أحداثها للوصول إلى نهاية غير متوقعة ولكنها محتملة.

ثالثا: الدرجة الثالثة للإخبارية: تتحقق هذه الدرجة عندما تكون الوقائع والمعلومات المقدمة خارجة عن قائمة الخيارات المحتملة، بحيث تكون غير متوقعة أو نادرة الوقوع. وعادة ما تتصف هذه الوقائع بالغموض والضبابية مما يجعل عملية الوصول إلى استيعاب أهدافها ومقاصدها عمليةً شاقةً ومعقدةً لكنها غير مستحيلة. فإذا نجح القارئ في فك شفرات النص والوصول إلى العلاقة المفهومية والمعرفية التي تربط بين عناصر النص فإن قراءته للنص تكون ناجحة. أما إذا فشل في عمله فإن قراءته تتعرض للفشل أو الرفض. ويقدم الأدب الرمزي نماذج واضحة لنصوص ذات درجة ثالثة من الإبلاغية لأن فلسفتها تقوم على الابتعاد عن عالم الواقع، والجنوح إلى عالم الخيال بحيث يكون الرمز هو المعبر عن المعاني العقلية والمشاعر العاطفية.

وعلى المترجم ألا يجنح كثيرا للدرجتين الأولى والثالثة حتى لا يعرض ترجمته لمخاطر الفشل والرفض، وعليه أن يبقى قدر الإمكان في الدرجة الثانية، ويحقق التوازن المطلوب في تقديم المعلومات والوقائع الإبلاغية والإخبارية.

٦. المناسبة: (Relevance)

استخدم روجر بيل مصطلح (المناسبة) بديلا عن مصطلح الموقفانية أو السياقية (Contextuality) الذي ذكره دي بوغراند. ويقصد بالمناسبة "ضرورة أن يكون النص موجها للتلاؤم مع موقف معين بغرض كشفه أو تغييره"[٣٠]. وتتطلب المناسبة أن ينقل المتكلم إلى المخاطب معلومات ذات علاقة بموضوع محادثتهما، وعلى المترجم أن يذكر العوامل التي تربط النص بالموقف، سواء أكان الموقف حاضرا أم قابلا للاسترجاع. ويرى تمام حسان أن

[٣٠] يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص٥٠.

المناسبة أو الموقفانية هي "تتابع الأحداث المصاحبة للنص اللغوي الذي يؤثر تأثيرا قويا في الاتصال بين منتج النص ومتلقيه"،[٣١] ويرتبط ذلك بالمتكلم، والسامع، والظروف، والعلاقات الاجتماعية، والوقائع في الماضي والحاضر، والتراث، والفلكلور، والعادات، والتقاليد، والمعتقدات، والخزعبلات.

وطالما أن المناسبة أو السياقية تضع النص في سياق اجتماعي وثقافي محدد في زمان ومكان معينين، فينبغي على المترجم أن يفهم السياق التقبلي للنص الذي يترجمه، وعليه أن يعرف شركاءه المتواصلين ومواقفهم وحالاتهم النفسية، وعليه أن يعي حاجاتهم للمعلومات التي يحتويها النص وكيف ينوون التعامل معها، كما ينبغي للمترجم أيضا أن يلم بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لدى المجموعة الكلامية المتقبِّلة.

٧. **البينصية: (Intertextuality)**

تعرف البينصية أيضا بالتناص الذي يعدّه دي بوغراند أهم العناصر في نظرية أنواع النصوص نظرا لأن النصوص بحسب رأيه إنما تكتب في إطار خبرة سابقة. ويقصد بالبينصية أن "النصوص السابقة تشكل خبرة يستند إليها في تكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها".[٣٢] ويعني ذلك أن النصوص لا تُكتب بشكل فردي ومعزول عن العالم، ولكنها تُكتب نتاجَ تفاعلٍ ممتدٍ لنصوص سابقة لا حصر لها مُخزّنةٍ في ذاكرة المؤلف.

إن النص متولد عن آثار تاريخية ونفسية ولغوية، لذا فإن قيمة النص تدرك في علاقتها بالنصوص الأخرى، بل قد تؤدي توالي القراءات إلى تغيير أفق التوقع في فهم النص، أو تصحيحه أو تعديله، أو إعادة إنتاجه. وجدير بالذكر أن ملامح التناص تظهر في بعض الأحيان بوضوح في بعض النصوص من خلال المعطيات اللسانية المرئية، ولكنها في كثير من الأحوال تكون غير ظاهرة وواضحة لكثرة النصوص، ومحدودية إدراك القراء. ويرى أحمد مداس أن أفق التوقع هو الذي يصنع فضاء التناص، وذلك بسبب تعدد القراءات وتواليها؛

[٣١] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م)، ص٣٥٢.

[٣٢] يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص٥٠.

إذ عندما تتم قراءة النص تلوح بوادر معرفة قديمة تجددت في نص خطاب جديد، فتُغيِّرُ الأفقَ الذي يُدخل – في لحظة تأملية – خطابا في خطاب، وإن لم تكن قبلها علاقة في عرف القراء.[٣٣]

وبما أن مفهوم البينصية تقوم على أساس أن أي نص يشبه نصوصا أخرى من نوعه، فإن المترجم يستطيع الاسترشاد والاستئناس بالنصوص المتوازية للنص الذي يقوم بترجمته، فيقوم بشكل واع برسم عناصر القصد والمقبولية والسياقية والإخبارية والتلاحم والتناسق كي ترقى الترجمة إلى التوقعات النصية لدى قارئ النص الهدف.

الخاتمة

تتلخص أهم نتائج هذه الدراسة في جملة من الأسس العامة، وهي: يجب علينا أن نفهم ما هو النص أولا قبل أن نفكر بترجمته، ويجب أن تعتمد طريقتنا في الترجمة على جملة من الاعتبارات تتعلق بالنصين المصدر والهدف، والموقف الترجمي، وجمهور القراء. وطالما أن هناك عدة أنواع من النصوص، وعدة أسباب ممكنة لترجمتها، فهناك عدة طرق لترجمتها أيضا.

لقد تولد الاتجاه التأويلي أو التجريبي الذي يتخذ من اللغويات النصية مدخلا له من منطلق أن الترجمة لا توجد قبل النص، بل هي عملية نصية تبدأ بالنص المصدر وتنتقل بواسطة المترجم إلى اللغة الهدف. وعلى هذا الأساس فإن النص في عملية الترجمة يجب أن يكون وحدة الترجمة، وليست الكلمات والجمل المنفردة.

[٣٣] أحمد مداس، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧م)، ص٧٣.

المصادر والمراجع

أ- بالعربية:

أحمد مداس، **لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري**، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧م).

إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، **مدخل إلى علم لغة النص**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م).

بيل، روجز، **الترجمة وعملياتها: النظرية والتطبيق**، ترجمة: محي الدين حمدي، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م).

تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م).

حافظ البريني، **علم الترجمة من التجريب إلى الممارسة والتنظير**، (سوريا: دار عين الزهور، ٢٠٠٣م).

ديتر فيهفجر، فولفجانج هاينه مان، **مدخل إلى علم لغة النص**، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م).

كاتفورد، جي. سي.، **نظرية لغوية للترجمة**، ترجمة: عبد الباقي الصافي، (البصرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٨٦م).

محمد شاهين، **نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس**، (عمان: مكتبة دار الثقافة، ١٩٩٨م).

محمد عناني، **فن الترجمة**، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ١٩٩٤م).

محمد عناني، **نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة**، (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٣م).

مونان، جورج، **المسائل النظرية في الترجمة**، ترجمة: لطيف زيتوني، (بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٤م).

نيوبرت، ألبرت؛ وشريف، غريغوري، **الترجمة وعلوم النص**، ترجمة: محي الدين حمدي، (الرياض: النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، ٢٠٠٢م).

نيومارك، بيتر، **اتجاهات في الترجمة، جوانب من نظرية الترجمة**، ترجمة: محمود إسماعيل صيني، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٦م).

يوسف نور عوض، **علم النص ونظرية الترجمة**، (مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٩٨٨م).

ب- بالإنجليزية

١. Hatim, Basil & Mason, Ian, Discourse and the Translator, (New York: Longman, ١٩٩١).
٢. Nida, E.A., The Theory and Practice of Translation, (The Netherlands: Brill, ١٩٨٢).
٣. Schulte, Rainer & Biguenet, John, Theories of Translation, (Chicago: University of Chicago Press, ١٩٩٢).
٤. Venuti, Lawrence, Rethinking Translation, (London: Routledge, ١٩٩٢).